

كانت الموسيقى في الشعر الجاهلي لا تعدو الترتيم في الشعر أما الآلات الموسيقية فما كان لها أثرها البارز في تاريخ الموسيقى العربية في العصر الجاهلي إذ كان عربي ذلك الزمان يؤثر سماع الغناء الصوتي على العزف الآلي ليتسنى له بذلك تذوق معاني الشعر أما الآلة الموسيقية فلا مهمة لها إلا مرافقة الغناء الصوتي والتمهيد له أما سبب هذا الفرق المتباين بين مقومات الموسيقى عند العرب والإغريق فمرده إلى الوضع الجغرافي في الجزيرة العربية التي لم تسمح طبيعتها بظهور التراجيدية التي لا تنبت إلا في رقعة تولدت فيها الحضارة وألقت بظلالها على كل ما حولها. في العصر الجاهلي سمي بالعصر الجاهلي لجهل العرب بتعاليم الإسلام، في الحقيقة لم تكن أيام جهل تام بل كانت بداية على حضارة ساعدت على الحفاظ على التراث العربي القديم. يتفق علماء التاريخ على أن الرعي الأول من العرب المهاجرين من بلاد العرب الجنوبية بدأ يتحرك حوالى القرن الثاني الميلادي. لذا بدأت الموسيقى العربية تزدهر وتنمو في مناطق ثلاث: سورية والعراق وغرب الجزيرة العربية. وكانت سورية في ذلك الوقت تحتفظ بالكثير من طابع الثقافة السامية، كما كانت غسان مركزاً له أهمية في الموسيقى العربية. وكان العراق غارقاً في خضم الثقافة السامية. وفي غرب الجزيرة العربية برز النشاط الموسيقي في مركزين مهمين هما الحجاز ومكة المكرمة. وكانت سوق عكاظ ميداناً رحباً يتبارى فيه الموسيقيون والمغنون والشعراء ويقدمون أروع ما تجود به قرائحهم. أما مكة فقد كانت مركزاً عقائدياً تقام فيها الشعائر الدينية وكان الحجاج يقدون إليها وهم يغنون غناء فطرياً سمي بالتلبية والتلهيل. لم يستخدم العرب الموسيقى في عباداتهم كما فعل الغرب، خصوصاً أنهم قبل الإسلام لم يكن لديهم دين واحد يجمعهم. لذا فإن الموسيقى الدينية قبل الإسلام تكاد تكون مهمة. أما الموسيقى الدنيوية خلال تلك الفترة فقد كانت أكثر أهمية. لعبت المرأة دوراً أساسياً في انتشار الموسيقى العربية قبل الإسلام، إذ كانت نساء القبائل يشتركن في موسيقى الأعياد العائلية أو القبلية بالآلتهن. وقد استمرت تلك العادات حتى أن هند بنت عتبة كانت على رأس بعض النسوة اللواتي كن يخفن متاعب السفر عن قريش في غزوة أحد سنة 625 ميلادية بالأغاني ورناء قتلى بدر بضرب الدفوف. نجد إلى جانب هؤلاء السيدات طبقة معروفة بالقينات أو القيان تواجدن في كل البقاع التي عاش فيها العربي، كسبب الجزيرة العربية وسورية والعراق. وقد ظهرت القيان في قصور الملوك وفي بيوت الأثرياء ورؤساء القبائل. كما ظهرن في الحانات وفي مضارب الخيام القبلية. وكانت أهم صناعتهن العزف والغناء. وقبل فجر الإسلام كان عبد الله بن جدعان أحد أشرف قريش يملك قينتين تسميان جرادتني عاد. كانت الموسيقى في فترة ما قبل الإسلام مشابهة لتلك الموسيقى القديمة في الشرق الأوسط، ومعظم المؤرخين يتفقون أنه كان عند العرب أشكال مختلفة من الموسيقى في الفترة ما بين القرنين 5-7 م. الشعراء كانوا يلقون الشعر بنوطات عالية. من أشهر الموسيقيين الجاهليين عرف عدي بن ربيعة شاعر بنو تغلب المشهور والذي لقب بالمهل بسبب صوته. وكان علقمة بن عبدة من الشعراء الذين غنوا المعلقات. وكان الأعشى ميمون بن قيس يطوف بجميع أرجاء الجزيرة العربية ويبيده الصنح يغني الأشعار الرائعة التي وهبته مكانة بين شعراء المعلقات. وكان يسمى صناجة العرب. سليل قصي المشهور، كان من شعراء الجاهلية الموسيقيين. أشهر المغنيات في عصر الأساطير: جرادتني بني عاد المشهورتان وكانتا تسميان تعاد وتماد. وكانت هزيلة وغيرة مغنيتي بني جديس، القبيلة التي أفنت بني طسم. ومن المحتمل أن أم حاتم الطائي الشاعر المشهور كانت موسيقية. وكانت الخنساء شاعرة الرثاء المشهورة تغني مراثيها بمصاحبة الموسيقى. وكانت هند بنت عتبة التي تمثل السيدة العربية الجاهلية شاعرة وموسيقية. كانوا يعتقدون بأن الجن أوحى بالشعر للشعراء وبالموسيقى للموسيقيين. أما الجوقة فكانت مساعد تعليمي حيث الشاعر يعلم الطلاب إلقاء الشعر. الغناء لم يكن للطبقة المثقفة وكان موكل به للنساء صاحبات الأصوات الجميلة اللواتي يتعلمن العزف على الآلات الموسيقية التي كانت مستخدمة في ذلك العصر مثل الناي، والعود والربابة والطبل.